
بسم الله الرحمن الرحيم
القول اليقين بكفر من اعتقد
بتحريف القرآن الكريم
بقلم الباحث
محمد بشير بن الشيخ كمال

بسم الله الرحمن الرحيم

كُفرُ المعتقدِ بتحريف القرآن الكريم

مقدمة

هذه رسالة مبسطة ومجملة تستند على ما جاء في كتاب الله.

بدايةً، فإنَّ الكافر تعريفاً، هو من عَمِيَ عليه الأمر بسبب فسقه[1] أو انحراف مسيرته فلم يَعُد يميّز الحق من الباطل.

ولقد تعمدنا الاستناد فقط على كتاب الله لقوله جلّ في علاه بأنَّ ذلك الكتاب المشهود والمقروء على العالمين لا ريب[2] فيه، وأنَّه كتاب عزيز فهو لم ولن يأتيه الباطل[3]، وقد أكَّدَ الله على المخالفين أن يخرجوا ما عندهم فليقرؤه على الملأ إن كانوا صادقين[4] وإلا فَهُمُ مُعْرِضون مُضِلّون ليس لديهم برهان[5] وإنْ هم إلّا مفترون كذبا على الله! وما هذا الادعاء إلَّا يقصد به هدم دين الله.

[1] ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (٩٩)﴾ البقرة

- ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)﴾ يونس

[2] ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)﴾ البقرة

[3] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)﴾ فصّلت

[4] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (٤٨) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٩)﴾ القصص

[5] ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦٤)﴾ النمل

التعريف بالقرآن الكريم

مما لا شكَّ فيه بأنَّ كتاب الله غني عن التعريف، فقال تعالى يصفه في سورة الكهف ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ فهو الوحي الصِدق المنزَّلُ على قلب[6] رسول الله، الذي يحتوي سنن الأولين والآخرين[7] إلى يوم الدين ذلك لأنَّهُ نزل على قلب خاتم وخير الرسل والنبيين[8] وخلق الله أجمعين عليه من الله أفضل السلام وأتم التسليم[9].

وإنَّكَ لترى في الآيات خطاب مباشر من الله لرسوله ليبيِّن للناس ما نُزِّلَ إليهم في كتابه الكريم، ذلك بأنَّ هذا القرآن قد اختصَّه الله لمحمدٍ عليه الصلاة والسلام وقد بشَّر الله بقدومه وبعصره[10] بطريق كافة رسله الكرام وقد أخذَ الله عليهم بذلك العهد، ذلك أنَّ هذا القرآن فيه من الآيات ما تعجز عنه العقول ويحتاج لفهمه من بلغ حدَّ أُفق رؤياه الأفق الأعلى[11] وهو من ربِّه الأقربُ والأدنى.

---

[6] ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾ الشعراء

[7] ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ١٣٣﴾ طه

- ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ٣﴾ البينة

[8] ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ٤٠﴾ الأحزاب

[9] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ٥٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ٥٧﴾ الأحزاب

[10] ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾ آل عمران - ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ٦﴾ الصف

[11] ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢﴾ النجم

فهذا كتاب الله منشوراً ظاهراً ينطق بالحق مبيناً لمقام هذا الرسول الأمين محمد صلى الله عليه وسلم فلم ولن يصل أحد إلى ما قد وصل إليه من قبله أو من بعده، ومن ينكر كتاب الله أو يحرِّفه تأويلاً أو قولاً فيه، فإنّه منكرٌ لمقام رسول الله بل هو الطاعن المحرِّف المستهزئُ بالله وكتبه ورسله، وأولئك هم الضالون بل الأخسرون أعمالا[12].

استحالة تبديل أو تحريف الكتاب بالزيادة أو النقصان.

مضى على هذا القرآن العطر الزاكي النقي ما يقارب ألفا وخمسمائة عام، ومنذ تنزيله على قلب هذا الرسول الكريم، عمل الشيطان وأتباعه الغاوين جاهدين على تحريفه[13] أو حتى تبديل كلماته[14] فلم ولن يفلحوا أبدا، ذلك أنه هو آيات قائمة ثابتة ظاهرة ساطعة كسطوع الشمس تُتلى إلى يوم الدين، فهو كلام الله وهو له الحفيظ المبين[15]، من أخذ به قد فاز ومن أعرض عنه قد خاب[16]! ألا وقد بيَّن الله هذا البيان وهناك من يقول بتحريف أو تبديل القرآن؟ لذا كان أمثال

١٢ ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)﴾ الكهف

١٣ ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١)﴾ المائدة

١٤ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥)﴾ الأنعام

- ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧)﴾ الكهف

١٥ ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ (٨) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾ الحجر

١٦ ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (١٠١)﴾ طه

هؤلاء أنَّهم لا يعقلون وما زالوا يتبعون سُبُلَ الشيطان وهو لهم عدوٌ مبينٌ!! والأدهى والأَمَرُّ من ذلك أنَّ فيهم من يجرؤ القول بأنَّ ملك الوحي الأمين جبريل[١٧] عليه السلام قد خان (أو يخففها فيقول أخطأ)! أهكذا يقول مؤمن عاقل؟ وهل للملائكة تصرفٌ أو فعلٌ من ذواتهم[١٨]؟ إنَّ من يقول ذلك فهو كافر بالله وأمره! فاسقٌ جاهل ولا يعلم من هم الملائكة! وهو ضالٌ لا يعلم سبباً لوجوده في هذه الحياة، بل إنَّه ليجهلُ لِمَ خَلَقَ الله الموت والحياة. ألا إنَّ الشيطان قد أخذ عهداً عند الله ليَفْتُنَنَّ[١٩] بني آدم كيفما استطاع إلى ذلك سبيلا.

وإنَّ الله جلَّت حكمته قد أذن لهذا الشيطان الحاقد الفاسق، لذلك لا يتَّبعه إلا أمثاله، لأجل أن يظهر الله الخبيث من الطيب، فالعاقل هو الحريص على مراقبته لنفسه وميوله، وهو من يخاف يوم حسابه يوم يُعرضُ أمَامَهُ كتابُهُ إمَامَاً لهُ، فإما أن يُخزيه فإلى النار يُرديه أو يُسعفه فيُنجيه[٢٠]! فلا يَجرؤنَّ أحدٌ على تكرار ما تَقَوَّلهُ الضالون! فيكون من الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً[٢١].

---

١٧ ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨)﴾ البقرة

١٨ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)﴾ التحريم

١٩ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ (٤٢)﴾ الحجر

٢٠ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢)﴾ يس

٢١ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥)﴾ الكهف

لقد بيّن الله تلك الحقائق في قرآنه الكريم بأنّ كل ما يقوم به الإنسان فهو لا بُدّ أنْ يُسَطَّرُ عليه ضمن كتابٍ[22] واضحٍ مبين قد أُحْصِيَ[23] فيه كل صغيرة وكبيرة وسيكون[24] ذلك الكتاب إمَامٌ له يأخذ به إمّا إلى النار وإمّا إلى الجنان[25].

أساليب الشيطان في اختراق القرآن!

إبليس أو الشيطان هما وصفٌ لمرضٍ تقع فيه الأنفس سواءً أكانت من الإنس أو الجان، وتميّزَ بذلك الوصف الأبِ الأولِ للجان، فبعد أن خلقِ الله أبَا الإنس آدم عليه السلام أمر الملائكة بأن يكونوا عونا له وكان أبا الجان مشتملا بذلك الأمر ذلك بأن آدم وقد خُلق من طين، فلا يتمكن إلاّ من رؤيةٍ محددةٍ بينما يتمكن الملائكة والجان من رؤية أوسع فتكون مهمة الملائكة كَحَفَظَةٍ للإنسان ببث الإلهام تنبيها أو تنويها بما يأذن اللهُ لهم به، وكان على أبا الجان نفس المهمة لكنّه أبى واستكبر حيث رأى أنّه متميزٌ عن هذا الطيني المحدود معتقدا ومعجباً بأنّه خير منه، فكان بذلك من الكافرين، حيث غاب عنه أنّه لم يَخْلق نفسه بل كان خَلَقُهُ بفضل خالقه الكريم (وهذا هو اللّبُسُ)، وهكذا فإنَّ التّكبّر يحرم النفس من القرب ويرمي بها في الشر والبعد.

---

[22] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ (٥٣)﴾ القمر
[23] ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)﴾ الإسراء
[24] ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)﴾ الكهف
[25] ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧١)﴾ الإسراء
- ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢)﴾ يس

بل اختار لنفسه أن يتجاوز ما طلبه الله منه (وهذا هو الشطن والشططُ) بأن يكون وسواساً يَسُوسَ ويقود الإنسان إلى الهلكة والردى، بما يراه مستبقا طريقا لهلاكه، فكانت أول تجربة ناجحة له هي إخراج آدم من الجنة ليشقى بسعيه للعناية ورعاية متطلبات جسده، لكن الشيطان قد غاب عنه أن آدم هو خليفة الله على الأرض واختاره الله وذرِيّته لأداء تلك المهمة العظمى، وهو بذلك الإخراج فإنْ أشبع إبليس شيئا من غلوائه وضغينته وحسده وحقده، لكن الله جَعَلَ ذلك خيرا لآدم ليؤدي الأمانة التي خلقه الله من أجلها على حَقّهِا وليس بالأماني، فكان لآدم أول درس في الحرص بأنَّ له عدوٌ دائمٌ متربصٌ به وكذلك فإنَّ الله غفور حليمٌ رحيم يقبل توبة عبده وعودته لإتمام مسيرته، فكل ابن آدم يُذنب وخيرُهم المستغفرين[26].

لقد أخذ الله عهدا على آدم ومن بعده ذُرِّيتهِ، بأن الشيطان لهم عدو، فعليهم أن يتخذوه عدوا، وإنه متربصٌ بهم يأمرهم بالفحشاء والمنكر ويأمرهم بأن يفتروا على الله الكذب وأن يقولوا على الله ما لا يعلمون بل ويأمرهم بكل الشرور ويلبس عليهم أمورهم فيوعدهم بالخير لما هو شر لهم وبالشر لما هو خير لهم[27].

وقد وعد الله بني آدم[28] وعهد لهم بالنجاة من شره إن هم اتبعوا هدي ربهم

[26] ٢٠٢٧١ - قَرَأْنَا عَلَى عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ» الجمع لمعمر بن راشد

[27] ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)﴾ فاطر

- ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠)﴾ يس

- ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠)﴾ الحجر

[28] ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩)﴾ البقرة

وكتبه ورسله وبروّا بوعده.

ما قدمناه أعلاه إن هو إلَّا تمهيداً لبيان عمل الشيطان بالإبلاس والشطط، وهما سلاحاه وعلّته بآن واحد فهما مرضٌ عُضالٌ يُصاب بهما جميع متبعيه.

أما الإبلاس فهو عمى القلب عن رؤية الحق ولو حدث أمام عينيه وهو المرض الذي كان مُشْرَباً في قلوب فئة من بني إسرائيل حين عبدوا العجل بعد رؤيتهم لكافة الآيات التي جاءتهم عن طريق نبيهم موسى عليه السلام، والسبب في ذلك فسقهم بتجاوزهم لحدود خلافة الله لهم في الأرض، ورضاهم بالحياة الدنيا على بؤسها ذلك أنهم قوم لا يعقلون ولا يضمرون الخير حتى بين بعضهم البعض، لذلك كان من السهل عليهم تحريف الصحف التي أتاهم بها موسى والافتراء على الله الكذب وتأكيد دخولهم الجنة بالانتساب دون أي عمل صالح وتعطيل الشرع واستلاب أموال الناس بالباطل والاحتيال على شرع الله وإنَّ قصصهم قد امتلأ بها كتاب الله لشِدَّةِ خطورتها على الإنسان وكي لا يكرر فعلهم أمثالهم!!

وأما الشطط فهو تعظيم الأشخاص وتجسيد الإله وجعل شركاء مع الله ومتصرفين في الكون مع الله أو أنَّ هناك كتب سرِّية يبنى عليها الإيمان وقد أخفاها الله!! أو تفسير لكتب أو غيرها لا يعلمها أحد سواهم والتَّقَول على الله حسب أهوائهم بأنهم شعب الله أو سادة البشر وهكذا بحيث تجاوزوا الغاية التي أوجد الله لها الخلق والكون، فهم بذلك قد هَزِؤا بالله وكتبه ورسله، وبالسبب الذي خلق الله الكون والخلق من أجله، فجعل الله الإنسان خليفة له في الأرض!

سبب كلُّ ذلك أنهم قوم فاسقين لا يعقلون، ويسعون وراء كسب المال ولا

يرون في الآخرة أي كسب حقيقي بل لا يعدوا عن كونها آمال!! فإن حدثت فهم أبناء الله وأحبائه وقد ضمن لهم دخول الجنان بلا حساب ولا عقاب ولا عذاب ذلك بفضل من قدّسوهم وجعلوهم شركاء لله[٢٩]! أولئك هم شرُّ البريَّة!

والآن وعندما أتى رسول الله وكشف بكتاب الله الغطاء عنهم وعن أمثالهم إلى يوم الدين، فقد رأوا أن السبيل الوحيد هو استيعاب تلك الرسالة ومن ثم الانقلاب عليها كما نجحوا بذلك مع دعوة ابن مريم عليه السلام حيث جعلوه إلها ودسوا الرذيلة في مبادئ رسالته وجعلوا لرجال الدين مناصب ومقامات ومن ثم تربعوا على رئاستهم وأضلوا أتباعهم وفقا لأهوائهم ذلك عمل الشيطان!

لم تفلح محاولات المفسدين والمغرضين إلّا بإنشاء فرق سرية وعلنية تُشاقِّ كتاب الله بدعم من قوى متنفذة مستغلة ضعف المسلمين وتفرق كلمتهم وتشتت حجَّتهم، وباختراقهم لبعض مراكزهم الفكرية عن طريق بعض الذين نجحوا في اختراقها من عملاءٍ ومن أعداء الإسلام بأنهم قد أعلنوا هدايتهم وهم كاذبون.

ومع ذلك فإنَّ كتاب الله يُحال اختراقه[٣٠] بل سيكون أشد سطوعا كلما ازدادت علوم الإنسان ونضوج فكره العلمي ذلك أن كتاب الله ينطق بحقائق خافية لا

---

٢٩ ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١)﴾ البقرة

٣٠ ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)﴾ البقرة

يكشفها إلا العلم والعلماء الحقيقيون وليس المغرضون، وكلما ازداد العلم ازداد عدد من يدخل الإسلام من أصحاب البحث والعلم تماما كما تبين لسحرة فرعون صدق ما جاء به موسى من آيات مقارنة بما يعلمون من فنون السحر فلذلك فقد أسلموا بما كفر به فرعون لجهله وتكبره.

لقد فعل الكثير أعداء الإسلام وأعداء الله ورسله الكرام، واستطاعوا خلال قرون خلت من دسّ ِ كتب وتحريف أحاديث وتدليس بعضها وحتى تشويه الكثير من الحقائق التاريخية واستطاعوا ذلك حين تمكنوا من سرقة الكثير من الموروث الثقافي الإسلامي ومن ثم أدرجوا ما يمكن أن يدرج فيه من تشكيك أو أباطيل في شتى الاتجاهات ومن ثمَّ مع انتشار الطباعة أخرجوا هذا المخزون، وجندوا الكثير لبث سمومهم وأباطيلهم، لكن وبفضل الله مع انتشار الحركة الرقمية وانكشاف مخزونات الكتب وإمكانيات البحث السريع والمقارنات الدقيقة أصبحَ من السهولة بمكان تمييز الخبيث من الطيب وكشف خطوط ومسالك الافتراء على كتاب الله وعلى كلام رسوله رغم تجنيد الآلاف من المغرضين والمضللين على الشبكات الاجتماعية والفكرية.

لكن دين الله حقٌ قائم على العلم والفكر النقي الحر لذلك لا يمكن اختراقه ولا يتأثر بالترهات إلا أصحاب النفوس المريضة والتي هي أصلا لا تعلم حقيقة الإيمان ولا تؤمن بيوم الديان.

إنَّ إشكالية الكفر هي الجهل والإعراض، وأقصد بالإعراض؛ عدم الاستماع أو الإنصات لما يتلى عليك، ومن ثم التفكر والتدبّر بما سمعت أهو حق أم باطل؟ بعيدا عمَّا هو مخزون في فكرك أو مخيلتك أو موروث من بيئتك، فإن لم تتعامل

مع الأمر بمنطق المقارنة والعقل فأنت واقع في شباك الوهم والظنون، وبذلك يسهل اصطيادك من المغرضين والمبتدعين أصحاب الأهواء والفتن.

دوافع وأسباب السعي لتحريف كلام الله ودينه الحنيف:

لقد بيَّن الله منذ عهد آدم بأنَّ اتِباعَ الشيطان مَصدرُ ضلالٍ وشقاءٍ وهلاك للإنسان[٣١] ولو أنصف الإنسان نفسه وصَدَقَ مع ذاته لما ضَلّ عن خالقه ورازقه. لقد جعل الله الحياة الدنيا قصيرة جدا ولا تكاد تقاس بعمر الكون! وجعل لهذا الإنسان الذي أخذ عليه العهد ضمن مدة وجوده على هذه الأرض، جعل له مطلق الحرّية في سلوكه ومسيرته ضمن البيئة التي بثَّهُ فيها ذلك لأن المهمة التي حملها الإنسان على عاتقه هي أن يبسط الخير والرحمة والإحسان للغير بما أتاح الله له[٣٢] وبذلك تصبح نفسه مؤهلة لكسبِ ودٍّ وقربٍ من خالقها العظيم فيمنحها إيمانا وزكاة، فالخلق كلهم عباد الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لخلقه.

وهنا يتدخل الشيطان وبإذن من الرحمن! ليمنع ذلك الإنسان من اصطناع المعروف وسلوك نهج الصالحين مستغلا ما يعتلج في نفس ذلك الإنسان من أطماع ودوافع عدوانية وكل ذلك بسبب غفلته من أنّه سينتهي به المطاف إلى الموت وفقدان كل ما أخذه سواء عنوة أو حيلة أو حتى حلالا، وبذلك تراه متشبثا بهذه الحياة الزائلة يتلاعب فيه الشيطان كيفما يشاء.

أما سبب أن أذن الله للشيطان بفعلته وبخبثه، ذلك أن مسؤولية وواجب الإنسان

---

٣١ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠)﴾ يس

٣٢ ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (٧٦)﴾ طه

أن يفكر ويعقل ويجاهد نفسه ليقدم عملا وصدقا بين يديه أمام ربِّه في آخرته يوم يلق حسابه فيرى نفسه قد أدى أمانته[٣٣] وصدق عهده مع ربِّه، ولولا ذلك لتقاعست النفس وركنت إلى تلك الدنيا وأضاعت عهد أمانتها مع ربها فإنَّ معنى تلك الحياة وسببها تلك الكلمة[٣٤] والأجل الذي منحه الله للإنسان ليثبت صدقه وينجو بنفسه، ومن هنا سيجد العاقل إن كل من يدّعي أنَّ الله قد ميَّز بين الخلق إن هي إلا دعوى الشيطان، وكذلك بأن دخول الجنان يكون بالانتساب لا بالاجتهاد، وكذلك كل دعوى تسفِّه أوامر الله وتحرف مقاصد الحياة وغايتها وتجعل الناس طبقات في القرب والبعد من الله هكذا فكل ذلك من فعل الشيطان ودسائسه عن طريق من استخفَّ عقولهم وجعلهم خدما له.

وهنا يجب توضيح اللبس بين تمييزين فقد يظن أن الله ميَّزَ الناس عن بعضها البعض[٣٥] بما أثبته الله في محكم كتابه! بل وفضَّلَ بعضهم على بعض[٣٦]. فإنَّ هذا إن هو إلا تمييز ابتلاء لما يمكن لتلك النفس أنْ تحمله! فإنَّ الله بالناس لرؤوف رحيم، وأما الآخرة فإن فيها التمييز الحقيقي[٣٧] الذي نتج عن صدق وسعي صاحبه وفاءاً بما عَهِدَ الله عليه الخلق يوم عرض عليهم حمل أمانته.

---

٣٣ ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢)﴾ الأحزاب

٣٤ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى (١٢٩)﴾ طه - ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١٤)﴾ الشورى

٣٥ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٥)﴾ الأنعام

٣٦ ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١)﴾ الإسراء

٣٧ ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٠)﴾ القصص

بالمجمل فلله الأسماء الحسنى[38] فعلينا أن نبصر من خلالها فالله تعالى هو العدل القائم بالقسط قد أعطى كل نفس هُداها في هذه الحياة الدنيا ضمن ميزان أسمائه الحسنى وكل ما تشهده في هذه الحياة الدنيا من تفضيل وعطاء أو منحٍ أو منعٍ إن هو ضمن ميزان الابتلاء[39] معونة منه وفضلا ليتمكن ذلك الإنسان من أداء مهمة خلافته وأمانته! فإنْ جَعَلَ الإنسان منظار تقييمه للأفضلية فيما أعطاه الله للناس في هذه الدنيا فقد ضلَّ السبيل، لذلك قد طالب تعالى أنبيائه بالصبر[40] لحكم الله وإرادته فهو العليم بالخلق وبسبيل هدايتهم إليه.

قد يتعجَّب الإنسان كيف يقبل أحدهم منطق اللامعقول والشبهات والأباطيل ويثق بكلام أو ادعاءات باطلة تناقض حقيقة ظاهرة حتى ولو كان هذا الكلام أو هذا القول أو ما قدْ سُطِّر هو في كتب لا صحة ولا سند ولا دليل عليه!

حتما إن من يَصدقُ في طلب الحقيقة لا يكون من أمثال هؤلاء الذين لا يتبعهم إلا من كان على شاكلتهم[41].

والحمد لله ربِّ العالمين

[38] ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾ الأعراف

[39] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٥)﴾ الأنعام

[40] ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩)﴾ القلم - ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤)﴾ الإنسان

[41] ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (٨٤)﴾ الإسراء